العلم الثقافي

المدير: عبد الله البقالي

سنة: 54

سنة التأسيس: 1969/2/7

الأربعاء والخميس 22و23 من شوال 1445

الموافق 1و2 من ماي 2024

10 ، شارع زنقة المرج حسان الرباط

Bach1969med@gmail.com

مُذكِّرات

لم أكد أضع الكلمة الأولى في افتتاحية هذا العدد ، حتى اسْتعدتُ يدي أشدَّ بياضا من الورقة البيضاء ، لا لشيء إلا لأنَّ خاطراً لسعني وأوحى لي أن أتركهم يأخذون حصَّتهم من كتابة الافتتاحية ، إنَّهم/ هن الرائدات والرواد الذين سبقونا إلى هذا الطريق بينما كنا لا نزال في أول الطريق ، رائدات ورواد الإعلام الثقافي الذين زادهم الاشتغال بالأدب وزنا يُقاس بميزان الذهب ، أولئك الذين أفنوا حياتهم في الكتابة ، لا يجب أن يكون الجزاء نظير ما أسْدوه للثقافة المغربية التشطيب والإلغاء ، بل الأجدر أن نسْتحضر بين حين وآخر ذكراهم ونُرسِّخها بقوة الفعل ،ليس فقط بالاقتصار على رفع الأكف بالضراعات والدعاء ، ولكن بإعادة نشر أعمالهم التي قد لا نجد اليوم ، مثيلا لأسلوب كتابتها البليغ وقوتها في إبداء الرأي ، عسى أنْ لا نُقلق راحتهم الأبدية ، ويقبلوا العودة للعيش بيننا للحظات بعد أن ذاقوا نعمة الخلود في دار البقاء !

محمد بشكار

bachkar_mohamed@yahoo.fr

الديمقراطية خلق

كتبها: علال الفاسي

ليس أبرز في هذا العصر من ادعاء الديمقراطية، والمناداة باسمها، وليس أكثر تنوعا من الأنظمة التي تكتسي صبغة الديمقراطية في شكلها، أو في محتواها.

كل الحاكمين يدعون العمل باسم الشعب، ولفائدته، وبمقتضى إرادته. وكل الشعوب تساهم بقسط، أو بأكثر، في تكوين النظام الذي تحكم به ، وفي إقراره.

الرقابة الشعبية مقبولة من الجميع، والانتخابات العامة في كل بلد، وأناشيد الحرية والمساواة تواكب كل عمل تقوم به الحكومات، أو توجه للقيام به الشعوب. فهل الديمقراطية هي كل هذه الأنظمة المعروفة في العالم، أم هي نظام ذو طابع تتميز به عن غيرها.

لقد جرت العادة أن تحد الديمقراطية بأنها حكومة الشعب، ولكن هذا الحد وحده لا يكفي. فانتماء الحكم للشعب، وصدوره عنه، لا يكفي لجعله ديمقراطيا، بل لابد أن يكون مصحوبا بمظاهره، التي هي: الحرية والمساواة وإتاحة الفرصة للجميع. إن الشعب قد يميل بطبعه، أو بمقتضى عقيدته، إلى لون معين من الحكم، فيضفي عليه من القداسة ما يشاء، وذلك ما يعطي الحق لذلك النظام في البقاء، لأنه متفق مع الإرادة الشعبية. ولكن هل معنى ذلك أن هذا الحكم ديمقراطي ؟ كلا، وقد يتاح للشعب أن يختار نوابه في مجلس معين، ولكن في إطار من التوجيه الذي يقتضيه المذهب السياسي للدولة، فهل معنى ذلك أن الانتخابات، وتكوين المجالس التمثيلية، كاف وحده لجعل النظام ديمقراطيا؟ إن هنالك أنظمة اشتراكية، أو فاشية، تعتمد في تركيب جهازها الحكومي، على كثير من الانتخابات، والمجالس الشعبية، والاستفتاءات العامة، ولكنها لا يمكن أن تدخل في إطار الأنظمة الديمقراطية، لأنها تسير على أسلوب جماعي، يجعل الإرادة الشعبية ظاهرة خارجية للنظام فقط، بل إن هنالك أنظمة تنتمي للديمقراطية، وتتكيف بأشكالها، وهي في الواقع مجرد مظاهر متى تعمقت أسرارها، ولمست آثارها، لم تجد لها من الديمقراطية إلا الإسم.

الديمقراطية عقيدة تضفي آثارها على تصرفات معتنقيها، والشكل الظاهر فيها كالنيابة، والاستفتاء، والحريات العامة، ليست إلا انعكاسات لصورها، تستطيع أن تثبت وتصبح حقائق ملموسة، ذات فعالية محسوسة، إذا أخلص معتنقوها، وصدقوا في تطبيقها، وتستطيع أن تكون مجرد خيالات وهمية لا تثبت في خارج الذهن، إذا كان القائمون عليها لا يرغبون في غير الصورة، ولا يهتمون بالعمق.

فالديمقراطية قبل كل شيء إيمان في الشعب لحقه في حكم نفسه بنفسه، وكنتيجة لذلك صفة تنعكس على أقواله وأفعاله، تجعله لا يأتي من الأعمال، ولا ينطق من الأقوال، إلا ما يتفق مع تلك العقيدة، ولا يقبل من غيره ما يتنافى معها.

فالشعب إذن هو الذي يجعل الديمقراطية حقيقة واقعة، وهو الذي يجعل من الدساتير المكتوبة، والقوانين المرسومة، والهيئات المنتخبة، والشكليات المختلفة للديمقراطية، صورا حية، تعطي حرية، ومساواة، وعدالة، وإخاء بين المواطنين. وهو الذي يجعل الحكم القائم في بلدنا، مهما كانت صورته، حكما مستمدا من الشعب، متفقا مع إرادته، سائرا وفق رغبته. والديمقراطية خلق في الحاكم، وفي المواطن معا، لا يستطيع أي منهما متى تخلق به، أن يخرج عن إطاره، أو يسير على غير هداه. فالحاكم الذي يملك خلق الديمقراطية لا ينحرف، ولا يظلم، ولا يغار من أن يرى المواطنين يتمتعون بالحرية في أحلى مظاهرها. والمواطن الذي يملك نفس الخلق، لا يستطيع أن يسكت على الظلم، أو يساهم في المساس بحرية الآخرين.

ولن تعيش الديمقراطية الحق في أمة، إلا إذا آمنت بها، واصطبغت أخلاقها بصبغتها.

أما الشعب الذي يكتفي من الديمقراطية بالمظهر، ولا يخلص هو في إعطاء المحتوى الصحيح لذلك المظهر، فلن ينال من الديمقراطية، إلا ما ينال من تمتع بمشاهدة قصر جميل، لا يملك منه غير حق النظر إليه، والانتشاء بما له من جمال.

إن الديمقراطية تعني احترام الكل، والإيمان بكرامة الإنسان، وأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وأن تقبل حكم النتائج التي تطلبها من الانتخابات، أو من مشورة الأغلبية، فهل يستطيع قومنا، وقد من الله عليهم بنظام الملكية الدستورية الذي رغبوا فيه، أن يأخذوا أنفسهم بالخلق الديمقراطي، حتى يعيشوا في إطاره، ويسيروا بمقتضاه ؟ إن عليهم إذن أن يكونوا أوفياء لمبادئ الحرية، وأن يقوموا بالواجبات مقابل التمتع بالحقوق.

إن عليهم أن يعدلوا عن العناد في الرأي، وركوب الرأس، وأن يعترفوا بالحق متى ظهر، ويقبلوا حكم الشعب متى أعلن، أما إذا كانوا سيتابعون الهوى، ويعاندون الواقع، ويضللون أنفسهم وغيرهم، فلن يكون للديمقراطية في بلدهم نبوت. والذين يطلعون للجبل متمردين، لأن خصومهم السياسيين قد انتصروا، أو الذين ينسحبون من المجلس لأن الأصوات رفعت غيرهم إلى مركز لم ينالوه، أو الذين لا يفتأون يرددون أنهم وحدهم الذين يمثلون الشعب، ولو أن الشعب قال كلمته إجماعا، فكانت على عكس ما يرغبون، إن هؤلاء، وأولئك لا حظ لهم في الديمقراطية، ولن يساعدوا على بناء مجتمع ديمقراطي قائم على حكم دستوري.

خذوا أنفسكم على التخلق بآداب الديمقراطية، لا تظلموا، ولا تغالوا، ولا تخربوا، واخفضوا لإخوانكم جناحكم، وعاملوا الكل بما تحبون أن يعاملكم به، وجادلوا بالتي هي أحسن، فإذا انتهى الجدال، وانكشف الرأي، فسيروا مع الكافة، واعلموا أن يد الله مع الجماعة.

أيها الشعب، الديمقراطية خلق، فتخلق بآدابها، فقد آن لك أن تفعل.

نشر هذا المقال بمجلة «البينة». السنة الاولى. العدد 08 رجب 1382 هـ موافق دجنبر 1962م

طبعة جديدة لكتاب الأديب الناقد المرحوم محمد أنقار

قصص الأطفال بالمغرب

عن منشورات باب الحكمة بتطوان، صدرت طبعة جديدة من كتاب «قصص الأطفال بالمغرب» للناقد المرحوم محمد أنقار. ويعد هذا المؤلف دراسة أكاديمية رصينة أثارت الانتباه إلى قصة الطفل بوصفها جنسا أدبيا طريفا، وإلى ظاهرة قصص الأطفال بالمغرب خلال الفترة الممتدة من سنة 1947 إلى غاية 1979. ولأهمية الكتاب النقدية البالغة، حيث يعد في أصله أول رسالة جامعية نوقشت بالمغرب عن قصص الأطفال، استطاع أن يحصل على جائزتين مغربيتين مهمتين هما: جائزة المغرب للكتاب فرع الدراسات الأدبية والنقدية واللسانية سنة 1998، ثم جائزة عبد الله كنون فرع الأدب المغربي سنة 1999.

يضم الكتاب ثلاثة أبواب وأحد عشر فصلا، إضافة إلى دليل لقصاصي الأطفال بالمغرب، وببليوغرافية وافية عن أدب الأطفال مغربيا وعربيا وعالميا. كما يتشكل من قسمين مهمين الأول نظري يجيب على أسئلة من قبيل ما هو الطفل؟ وما هي قصة الطفل؟ ويحاول أن يقدم رصدا لوضعية قصص الأطفال في فرنسا وإنجلترا وإسبانيا وألمانيا والدانمارك وروسيا ومصر وسوريا وفلسطين ولبنان وتونس، ليركز في الأخير حديثه النظري على مسيرة قصة الطفل المغربية من خلال تتبع الصحافة والقصص المنشورة. أما القسم التحليلي فيغوص في الخطة الأسلوبية التي من الممكن اعتمادها أثناء عملية التصوير القصصي. ومن خلال قراءة فاحصة تنظر في نماذج قصصية متعددة توقف هذا القسم أمام خمسة أنواع من الخطابات المميزة لقصص الطفل وهي: الخطاب التاريخي، والخطاب القيمي، والخطاب الشاعري، والخطاب الخارق، خطاب والمغامرة.

والحقيقة أن محمد أنقار لم يهتم بقصة الطفل من الناحية النقدية فقط، بل كانت له مساهمات إبداعية أيضا، فقد كتب ثلاث قصص للأطفال وهي: حلم الأرجوحة، والهاتف الذي له ذراعان، والكتكت الرومي. من هنا نقول إن أهمية كتاب «قصص الأطفال بالمغرب» ترجع إلى الأفق المعرفي الواسع لمحمد أنقار، الذي يجمع بين اجتهاداته «النقديه» التي حاولت صياغة تصورات تأصيلية جديدة لقصة الطفل، وبين تمكنه «الإبداعي» الذي ساعده على الإدراك العميق لطرق التعبير المختلف لهذا النوع السردي.

يقول محمد أنقار رحمه الله في مقدمة كتابه: «يعالج هذا الكتاب أدبية القصة النثرية بوصفها جنسا من بين أجناس أدب الأطفال، ويستبعد القصص الشعرية المركبة من جنسين متباينين، وحكايات الأطفال الشعبية المتداولة بين الصغار عن طريق المشافهة وكذلك القصص المدرسية المباشرة. وإذا كان الطابع العام لهذا الكتاب أدبيا خالصا، فالمعتقد أنه قادر مع ذلك على تكميل الوظيفة التعليمية التي يمارسها كثير من رجال التربية والإعلاميين ومؤلفي الكتب المدرسية في المغرب. إذ على الرغم من أهمية تلك الوظيفة التي بلغت شأوا بعيدا في الاستفادة من الدرس اللساني وجودة الإخراج والطباعة وتقدم وسائط الإعلام والتواصل؛ فإنها لم تفلح بعد في تحقيق الانسجام المنشود بين الطفل المتلقي والنصوص المقررة نظرا لعدم احتفائها الواضح بالبعد الأدبي وبالشروط الجمالية التي تقتضيها قصة الطفل. لذلك كانت قيمة هذا الكتاب متجلية في اقتراحها البديل الأدبي الذي من شأنه أن يجذب القراء الأطفال ويمتعهم إن هو اعتمد إلى جانب روعة الإخراج وجمال الرسوم ودقة التدرج اللغوي والتواصلي».

هشام ناجح

الشجعان

الكاتب المغربي هشام ناجح يأخذنا كالمعتاد إلى أممه السرديات المرويات من خلال إصداره الروائي الرابع الموسوم برواية «الشجعان» الصادرة عن المركز الثقافي للكتاب في 2024، حيث إن الرواية تعالج حقبة مهمة من تاريخ المغرب، وبما أن التاريخ ماكر للغاية من خلال الأحداث التي تطفو على وجهه، وتزين أكتافه بنياشين تحفظ أسماء الزعماء دون سواهم؛ سلطة التاريخ الذكوري خاصة إذ قلما تجد التاريخ يعترف بامرأة بَصَمته بشجاعتها وحكمتها، وغيرت مجرى الأحداث. وهذه الرواية ترغب في أن تعيد الاعتبار للمرأة، وتكشف الحقيقة المتوارية من إحداهن، والتي شاركت في الحقب التاريخية الحساسة الكبرى التي هزت العروش خاصة أثناء الاجتياحات والاحتلالات. لكن، بالمقابل لن نجعل منها تلك الشخصية الملائكية التي لا يكل جوادها، والتي لا يعرف سلاحها الهوان. إنها امرأة تجسد الحقيقة على أرض ثابتة، وتنفذ إلى أقطار الواقع بين البارود والشعر؛ فقلما تجد فارسة شاعرة تلهب النيران والكلمات التي تعلي الهمم، وتدوس على الجاهز.

إن مباركة بنت حمو البهيشية الملقبة بالنيرية تركت خدوشا في وجه التاريخ المغربي المخاتل بعنفوانها وكلمتها التي تحرك الراقد في كرش أمه.

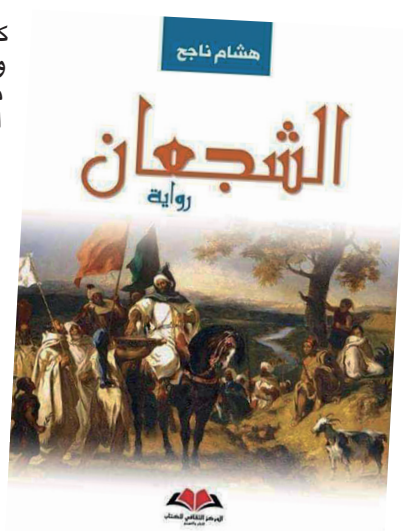

وقد ظل البوزيدي الفارس والشاعر كذلك يناوش كلمات مباركة بنت حمو، وكلما صدحت بقصيدة إلا وكان الرد بقصيدة على منوالها بتكريس الحب الخفي وراء الشهامة والشجاعة.

ثمة شخوص عدة ثؤثث الرواية كالقائد بوزكري والجنرال ليوطي والكولونيل مانجان والبعطيطي ووو

وقد تعمدت الرواية ألا تصدر أحكاما، حتى يتسنى لها الحياد التام، فهي ملزمة بإعادة كتابة تاريخ الأمم السرديات بعيدا عن عقدة لعنة العقاب.

رواية الشجعان رواية الأزمان النفسية؛ تلتقط المهمل أثناء الاحتكاكات، وتكرس المستويات الفاعلة نفسيا وإجتماعيا في مرحلة معينة من تاريخ المغرب، خاصة عند بداية التغلغل الفرنسي دون تحديد أحكام تثير حب الذات.

ترجمة:
إبراهيم عمري
وعبد الله زروال

تقنيات تدوين الأفكار في التعبير والتواصل

تأليف: لويس تمبل دوكلو

كتاب جديد صدر عن مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية بفاس، وهو ترجمة لـ «تقنيات تدوين الأفكار في التعبير والتواصل» من تأليف لويس تمبل دوكلو، تقديم وترجمة إبراهيم عمري وعبد الله زروال، يقع الكتاب في 181 صفحة من القطع الكبيرة، وتنتظم محتوياته في اثني عشر فصلا، ناهيك عن رائز لتقييم المكتسبات ومقدمة وخاتمة.

يضع مؤلف الكتاب بين يدي القارئ مادة وافية متكاملة عن إحدى المهارات المفيدة في التعلم والبحث والعمل، ألا وهي مهارة تدوين الأفكار، وهو المصطلح الذي مال المترجمان إلى استعماله بدل مصطلحين متداولين لكن تعوزهما الدقة وهما أخذ النقط ورؤوس الأقلام، ويمده بمختلف تقنيات هذه المهارة، بحيث إنه يغنيه، سواء أكان طالبا أم باحثا أم إطارا، عما تفرق من كتابات نادرة ومتفرقة في الموضوع.

ولتيسير اكتساب مهارة تدوين الأفكار، وتذليل الصعوبات التي قد تعترض القارئ يعرض المؤلف، في غير إسهاب وبمنتهى الدقة، أسسها النظرية، مركزا على آليات اشتغال فصي الدماغ الأيمن والأيسر؛ كما أنه يوظف كل ما من شانه أن ييسر الفهم، ويعزز الاستيعاب من قبيل تركيب الخلاصات المركزة، واقتراح التمارين التطبيقية، وعرض الخطاطات والرسومات والجداول، وتقديم الأمثلة المتنوعة المأخوذة من مجالات مختلفة.

وزيادة في التوضيح، أضاف المترجمان كثيرا من الإحالات المفيدة؛ كما أنهما اقترحا ثبتا للمصطلحات، ومراجع إضافية للتوسع، وإلى جانب مقدمة المؤلف قدما للترجمة بتقديم عام يسلط الأضواء على موضوع الكتاب؛ ومما جاء في هذا التقديم، هذا المقطع المثبت على ظهر الغلاف:

يعتبر تدوين الأفكار تقنية من تقنيات التعلم والعمل الوظيفية، تقنية لا يكاد يستغني عنها التلاميذ والطلبة والباحثون وأطر المقاولات؛ ذلك أن فرص استثمارها تظل سانحة خلال المسارين التكويني والمهني، حيث تستغل في كثير من الوضعيات والأنشطة كالقراءة، وتلقي الدروس والمحاضرات، والبحث العلمي، والتواصل الثقافي، والإنتاج المعرفي، وتدبير الأعمال في مختلف المؤسسات الإدارية والإنتاجية...الخ

وعلى الرغم من أن تدوين الأفكار كان وما يزال ممارسة شائعة ومتداولة في حقول التربية والتكوين والممارسة المهنية أيضا، فإنه لم يستأثر بالاهتمام اللازم من قبل الدارسين والباحثين، وهذا ما يفسر ندرة الكتب التي اتخذت من تدوين الأفكار موضوعا لها؛ أما بالنسبة للخزانة العربية، فنكاد نجزم بأنها خالية تماما من أي مؤلف جامع تم إفراده وتخصيصه لمعالجة هذه التقنية. طبعا، ينبغي الاعتراف بأن بعض الباحثين في حقل التربية والتعليم بخاصة قد نبهوا إلى أهمية هذه التقنية، لكنهم اكتفوا بالمرور عليها مرور الكرام، دون أن يتجرأ أحدهم ويخصها بدراسة شاملة أو بحث عميق ومتكامل.

وإجمالا، يمكن اعتباره هذا الكتاب بمثابة دليل علمي جامع ملم كل الإلمام بمهارة تدوين الأفكار في شتى الأنشطة؛ كل ما على القارئ أن يحسن استخدامه، وحتما سيكون مفيدا له في مساره الدراسي، معينا له في مساره المهني، هذا فضلا على أنه صالح لأن يكون مصوغة فعالة في تأطير الدورات والورشات التكوينية.

مِياهٌ جَرَتْ تَحتَ الجِسْر

أحمد زنيبر

1

كُلّما غابَتْ شَمْسُ البَهاء
فاضَ البَحْرُ
وَحَلّتْ أسرابُ العَلامات
تُحْصي المَدى قَطْراً
بَيْنَ مَدٍّ وجَزْر.
يا لهذا الطّيْف
حينَ عادَني الحَنينُ إلَيْه ،
ورَقّتْ أنْسامُهُ
احْتَرقَتْ يَدُ الرّيح.

2

يا نجْمًا
يَسَعُ السّماءَ
ضاقتْ بالسُّؤال المَنافذُ
وجَرّتْ أذْيالَها المَساءات.
وَذاكَ الفُؤادُ المَلاذُ
حينَ ارتدَّ
إلى أقْصى الرّوح ،
أطاحَ الغَمامُ بالظّلال.
والخَطْوُ ، ذاكَ الخَطْوُ
انْسَلّتْ أخْبارُهُ
مِثْل ذَرّةٍ في الغِرْبالْ.

3

ستّونَ عامًا
بَيْنَ حَديثٍ ومَسير
دارَتِ العَقارِبُ
بحْثًا عن المَعْطوب في الوِجْدان.
وَظَلَّ البابُ مُواربًا
لقَصيدَةٍ غَجَريّة
تَضُخُّ المَعْنى شَفيفًا
في لوْحٍ مَحْفوظ
وتَنْضَحُ بالألْوانْ.

4

يا وَرْدَةً تَحنُّ للعطْر
دَقّتْ أجْراسٌ وطُبولْ
ومياهٌ جَرَتْ تحْتَ الجِسْر
مِثْل أنْغام عَلى جَنباتِ السّيْر
هَيّجَتْ لسانَ العاشقينْ.
ها قَدْ نَوّرَ الرّيحانُ
بِحِبْر عَلى بَياض
وَراحَ يَدْنو مِنْ نَبْعِه
هَذا العاثِرُ في الخُطواتْ
يُصْغي لِلطّيْرِ في مَلَكوته
ويُخْفي سِرَّهُ عن الأغْصان.

5

ستّونَ عامًا عَبَرَتْ
مِثْل البَرْقِ
قَصَصًا وحَكايا
عَنِ الحُبِّ وعَدْوى الجُنون
عنْ رَبيعٍ ثائرٍ في الشّوارع
بَيْنَ صَدًى الأَحْياءِ في
المَقابر
ورعْشَةٍ في صَلاةِ الغائب ،
عن طُفولَةٍ بلا قَمْحٍ
وَأحْلامٍ بلا قَمَرْ.
فمن يمسكُ دَمْعَةَ الماءِ
إذا انهَمَرْ؟

6

كَمْ يُذْهلُني صَمْتُ الأطْيارِ
وصَوْتُ الأمْطار
يُدَغْدِغُ سَمْعَ الأحْلامْ.
يا خَليلي ، خَفّفِ الوطْءَ
لِمَنْ تَرَكْتَ الأزْهارَ
مُحَمّلةً بالأسْرار؟
آه ، لَوْلا تَطاوُلُ النّخْلِ
ما قاوَمَ الجَسَدُ
بعَكْسِ الماءِ
عُنْفَ الغُبار؟

7

ها سَفينَةُ العُمْر
حينَ الْتَحَمَتْ بالمَوْج
لَمْ تَأبَهْ بالجَليد
وَلا بالسّراب المُمْتَدِّ في البَعيد.
هاجَ الذّكْرُ بالمَقامات
وَباحَ الصّدْرُ بما في الأعْماقْ
وَها إنّي مَنْدورٌ للنّسْيانْ
فَمَنْ يُخْبِرُ الماءَ عَنّي
كُلّما شَقَقْتُ صَدْرَ الأرْض
وارْتَمَيْتُ في الآفاقْ.

8

زحافاتُ الخليل
مَزّقَتْ أوْتارَ البُحورِ والفُصول ،
فَلا لُغَةٌ وَلا صُوَرْ.
لكَ الحمدُ
يا ربّي ،
حينَ الطّيْفُ راقْ
صارَ اليُتْمُ رَفيقَ دَرْبي
وَما ذَنْبي
سوى أنّي
مُتْعَبٌ بالحَياة.

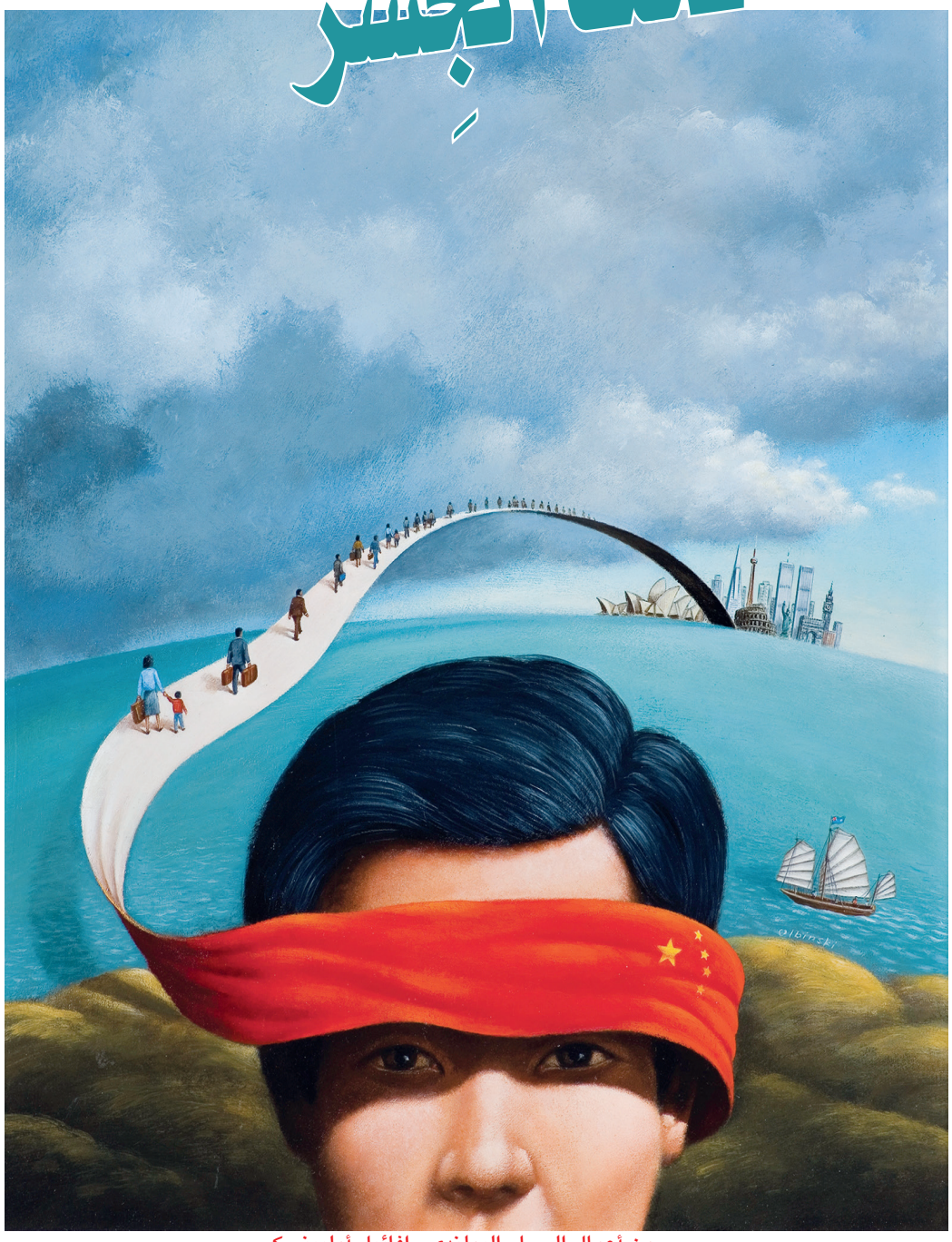

من أعمال الرسام البولندي رافائيل أولبينسكي

د. محمد سمكان

أبناءُ النّورِ وأبناءُ الظّلام

The children of light and the children of darkness

الجزء الثاني

السياق

A struggle between a children of light and the children of darkness,) between humanity and the law of the jungle. This is a battle not only of Israel against these barbarians but it's a battle of civilization against the barbarism.)

«إنّه صراعٌ (أو تدافعٌ) بين أبناء النّور وأبناء الظلام، بين الإنسانية وقانون الغاب، إنّها ليست، فقط، معركة إسرائيل ضد هؤلاء البرابرة، وإنّما هي معركة الحضارة ضد البربرية.»

توقيع: بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل.

نقارب في هذا المقال التضامني مع شعبنا وأهلنا في فلسطين السليبة قضيةً عقديّة وسياسيّة عزَف على وَتَرها السّاسَة الصّهاينة ورجال الدّين المتصهينين والمسيّسين لخدمة أهداف حزبيّة وسياسية أكثر منها دينية تتجلى في الحفاظ على كتلتهم المؤثرة في الكنيست الإسرائيلي، وضمان موقع قدَم في التحالفات السياسية التي ستسوس الكيان بعد «طوفان الأقصى»، وتؤثر في سياساته الداخلية، خاصة، سياسة القمع والقتل والاستيطان والتهجير... والتحريض العنصري على «إنسانية» الإنسان الفلسطيني، كما سعى نتنياهو ، من خلال هذا الخطاب، إلى دغدغة مشاعر بعض دول الغرب المسيحيّ المساند والداعم للصهيونية العالمية؛ إذ خَندَقَ نفسه في الخندق نفسه بمعيتهم، وعيَّن نفسه ناطقا باسم «الغرب الاستعماري» ومدافعا عن «قيمه العنصرية».

كلُّ الكتب السماوية نورٌ من الباري إلى البشرية

لقد نعتَ الكتاب العزيزُ جميعَ الكُتُب السّماويّة بأنّها (نور)، ونَعَت صراطَ الأنبياء بأنّه صراطُ النّور، والطريق الإلهيّ طريقُ النّور والمحجّة البيضاء التي لا يُخالفُ نهارُها ليلَها ولا ليلُها نهارَها بياضًا ونُصوعًا؛ وهكذا وصف المولى عزّ وجلّ صراطه المستقيم بالنور، في قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة،256]، ووَسَمَ التوراةَ التي أنزلت على موسى عليه السلام بالنور: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾[المائدة، من الآية 46]، ويقولَ في حقّ الإنجيل الذي أنزل على المسيح عيسى عليه السلام: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة،48]، ويقولَ في حق القرآن الكريم: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المائدة،17-18].

ملّةُ إبراهيم عليه السلام

الخليلُ إبراهيمُ عليه السلام هو النبيُّ الأكثر ارتباطا بنا، نحن المسلمين، وببني إسرائيل؛ فمن نسله أنبياءُ بني إسرائيل، ومن نسله، أيضا، إسماعيل ونبيُّنا الكريمُ، وقد نبَّهنا الكتاب العزيز إلى هذه العلاقة وأكد أنّ المسلمين هم الأَوْلى بإبراهيم من غيرهم ممَّن يدّعون الانتماءَ إليه، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران،67]، وأيضا، لأنّ الخليل عليه السلام هو من بنى المسجدَ الحرامَ بمكّة المكرمة وهو، على الأرجح، من بنى المسجدَ الأقصى بالقُدْس الشريف؛ ففي الصحيحين عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أيُّ مسجد وُضع في الأرض أوّل؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أيٌّ؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة.»

وقد شاعت في الآونة الأخيرة «بدعة» جمع الديانات الثلاث في دين واحد دَعوْه «الدّيانة الإبراهيميّة»، وانبعث أشْقاها يُنظر لجَمْع (ما لا يجتمع)، ويدعو لما لمْ يَشهدْ به الكتابُ العزيز، ولم يأت به سلطانٌ من عنده سبحانه؛ فقد نفى القرآن الكريم أن يكونَ أبو المسلمين والموحّدين إبراهيمُ عليه السلام يهوديّا، أو نصرانيّا، أو مشركا؛ ولكنه كان حنيفا مسلما، يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران،66]، واسمُ «اليهودي» لم يُسَمّ به موسى عليهَ السلام أتباعَه، ولكن هم من تَسمَّوا به، ويحكي القرآن الكريم عنهم قولهم: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف، من الآية 156] أيْ: تُبْنا إليك، والمسيحَ عليه السّلام، أيضا، لم يُسمّ أتباعَه بـ «النصارى»، ولكن هم من سمّوا أنفسهم كذلك، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[المائدة،15]، ونفى الكتاب العزيز الدعوة المشتركة للفريقين مَعًا وأبطلها في قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[البقرة،134].

فملّةُ إبراهيمَ عليه السلام غيرُ «ملّة» اليهود والنصارى والمشركين، وبالتالي عندما يدعونا القرآن الكريم إلى اعتناق ملّة هذا النبيّ الكريم في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[النحل،123]، فهي دعوة إلى التبرُّئ من «ملل ونحل» اليهود والنصارى؛ لأنّ ملّة إبراهيمَ هي ملّة الإسلام والفطرة التي فطر الخالقُ الناسَ جميعَهم عليها، وهي التي أُمرنا بالعضّ عليها بالنواجذ، وأن لا يُدركنا الموتُ إلّا ونحن عليها قابضونَ قبْضَ الجَمْر.

ويُلاحظ القارئ الكريم أنّه كما نفى الكتاب العزيز نفيًا قاطعا وباتّا أنْ يكون أبونا إبراهيمُ نصرانيّا أو يهوديّا، نفى، أيضا، أن يكون «مشركا»؛ لأن تَنازُعَ الانتماء إلى هذا النبيِّ الكريم ليس قائمًا، فقط، بيننا وبين اليهود والنصارى، ولكن يدخل فيه، أيضا، إمّا المشركون الذين يزعمون، رغم شركهم وتعدّد آلهتهم، أنهم يَقتفون أثرَ الخليل عليه السلام في مناسكهم، وعمارتهم للبيت الحرام، وسقاية الحجيج، والطواف بالبيت العتيق، وتعظيم «التحنث» الإبراهيمي... أو المشركون من أهل الكتاب الذين جعلوا مع الله آلهة أخرى، فادّعت النصارى أنّ المسيحَ إلهٌ وابنُ الله، وادَّعت اليهود قبلهم أنّ عزيرَ ابنُ الله، وقد حكى القرآن الكريم ذلك عنهم وفنّد ادّعاءاتهم ومحَق أباطيلهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[التوبة،30]

رسم من وحي الفنتازيا يجسد نتنياهو كما يتصور نفسه بخيال مريض.

كلُّ الرسل والأنبياء مسلمون ودعوا إلى الإسلام وعمودُه التّوحيد

لاشكّ، وبشهادة الكتاب العزيز، أنّ كلَّ الرسل والأنبياء مسلمون، ودعوا إلى الإسلام مع اختلاف في التشريعات والمناهج التي خصّ بها المشرِّع الحكيم كلَّ أمّة رسول أو نبيٍّ على حدة؛ يقول سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة، من الآية 50].

فنوحٌ عليه السلام كان مسلما، بشهادة القرآن الذي يحكي على لسانه قوله لقومه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس،72]، ودعوةُ إبراهيمَ وابنه إسماعيل عليهما السّلام ربّهما: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾[البقرة، من الآية 127]، ووصيّة يعقوب إلى بَنيه وقت احتضاره كانت الإسلامَ، يقول سبحانه: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة،132]، ودعوة موسى عليه السلام قومَه كانت إلى الإسلام، يقول سبحانه: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[يونس،84].

والدّينُ الذي مات عليه سحرةُ فرعونَ هو الإسلام، يقول سبحانه: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[الأعراف،125]، ونادى يوسف عليه السلام ربّه ورفع رجاءه إليه أنْ لا يموتَ إلّا وهو مسلمٌ، يقول سبحانه على لسان يوسف: ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[يوسف، من الآية 101]، وسليمانُ عليه السّلام كان مسلما؛ بل وكان يدعو ملوك عصره إلى الإسلام، ففي قصة ملكة سبأ، جاء في رسالة سليمانَ إليها: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[النمل،30-31]. ولمّا تيقّن أنّها ستفد عليه وقومَها مسلمين، ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[النمل،39]؛ فكيف، بعد هذا، يرمينا الآخر بـــ«الظلاميّة» و«الظلام» ونحن، إن شاء الله، ماضون على «درب النور» درب الرسل والأنبياء والإيمان بالغيب النورانيّ؟

وفي علاقة حادثة الإسراء بخَط النّور الممتد بين سيدنا إبراهيم وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام، وأنّ الإسلام هو الدّين الذي دُعيَ إلى اعتناقه الأوّلونَ والآخرونَ مع اختلاف الشّرائع والمناهج، وفيَ الوشائج بين المسجدَيْن الحرام والأقصى ما جاء في تفسير ابن عاشور وهو يعلق على مفتتح سورة الإسراء (أو سورة بني إسرائيل) إذ قال رحمه الله: «وثانيهما [أي الفوائد]: الإيماءُ إلى أنّ الله تعالى يجعلُ هذا الإسراءَ رمزًا إلى أنّ الإسلام جَمَع ما جاءت به شرائعُ التّوحيد والحَنيفيّة من عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام الصّادر من المسجد الحرام إلى ما تفرّع عنه من الشرائع التي كان مَقرُّها بيتَ المقدس، ثم إلى خاتمتها التي ظهرت من مكّة أيضا؛ فقد صدرت الحنيفيّة من المسجد الحرام وتفرّعت في المسجد الأقصى. ثم عادت إلى المسجد الحرام كما عاد الإسراءُ إلى مكة؛ لأنّ كل سُرًى يعقّبه تأويبٌ.» (تفسير التحرير والتنوير، 15/15)

«تجليات النّور» ، كما زعموا ، في الحرب على غزة

جنديٌ يُدْعَى (levi Simon) ذو جنسية مُزْدَوَجة إسرائيليّة بريطانيّة اشتهر بتثبيت مقاطع على اليوتوب «يفتخر فيها، ويتفاخر بإنجازاته» التي لا تعدو أنْ تكونَ سوى جرائم الحرب التي يرتكبُها هو ومَن على شاكلته في غَزّة في حقّ شعبنا الأعزل، وقد تمّت دعوتُه مؤخرا من طَرف إحدى الجمعيات العاملة بمنطقة «هندون» شمالي لندن احتفاء بـــ«إنجازاته الخارقة» والتي قضى في «تنفيذها» ثلاثة أشهُر بغزّة، وقد زيّنت واجهة مقرّ الدّعوة لافتة عريضة «تليق بمقام الضيف الكبير»، وكُتب عليها بعنوان بارز وبخط أزرقَ على خلفيّة بيضاءَ (ألوان العَلَم الإسرائيلي) عبارة: (Special GUEST STAR) ، وهو الحدَث الذي أخرج إلى العَلَن ما تُخفيه هذه «الجمعيّة»، وتسبّب في «فضح» حقيقة «الأنشطة المُوّهة» لهذه الجمعية.

والغاية من هذه الدعوة، بحسَب هذه الوكالة الصهيونية، هو «إلهام المراهقين»، ليتّضح في ما بعدُ أنّ هذه الجمعيّة ما هي إلا «غطاء لتجنيد الشّباب في الجيش الصهيوني»، واسم هذه الجمعية «نادي الفتيان» (The Boys Club House) والذي يُعرِّف عن نفسه بأنّه «الجمعية الخيرية اليهودية الوحيدة المكرّسة نفسَها لدعم الفتيان والشباب المحرومين، من المراهقين المُنفصلين عن الأسرة والمجتمع».

وقد أثارت هذه الدعوة غضَبَ السّكّان المحليّين بمنطقة «هندون» الذين اتّهموا الجمعيّةَ بـــ«تمجيد الإرهاب»

ورفعوا لافتات كُتبت عليها عبارات أَنْقُلُها باللسان الإنجليزي كما وردت حرفيا:

shame on charity The Boys clubhouse)
which claim Educate people about war
while actually glorifying Israeili terrorism of
(Palestinians including children

«عارٌ على (نادي الفتيان) الذي يدّعي، في العلَن، تحسيسَ الناس وتوعيتَهم بمخاطر الحروب بينما هو، في الحقيقة، يُمجِّد الإرهاب الإسرائيلي الممارَس على الفلسطينيّين بما فيهمُ الأطفال».

ثم اتضح أنّ لدى هذه المؤسسة فرعًا آخرَ في القدس المحتلّة، واسمه «نادي الكهف» (THE CAVE CLUB) كما تبيّن أنّ لهذه «الجمعيّة» برنامجا حربيّا يدعى «الجندي الوحيد» (Lone Soldier) وهو تابع للجيش الصهيوني، وتستغل الجمعية أنشطتها التشاركية مع المدارس والجامعات البريطانية لاستقطاب «الفتيان والشباب المهاجرين والأيتام...»، و«مَن يعانون من أزمات مالية واجتماعية ونفسية»، وتوفّر لهم فرصا «غير متاحة» في بريطانيا.

وعند انخراطهم في الجيش الصّهيونيّ أو الشرطة الصهيونية يحصلون على امتيازات مالية وأجور مُرتفعة وإعفاءات ضريبيّة» (المصادر: ميدل إيست، «الجندي الوحيد»، «نادي الكَهف»، قناة أنا العربي»)

نسوق هذا المثال وكلنا حَسرةٌ وحُرْقة على ما آل إليه جسدُ أمتنا العربية والإسلامية من ذلة وهوان و«غثائية» كغثاء السيل، كما وصفنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ فبينما تنشط المنظمات الصهيونية في تجييش الجنود، وجمع التبرعات، واكتساح الإعلام بالغرب، والتحريض على الفلسطينيين والعرب والمسلمين عموما، والترويج للخرافات الصهيونية التي تفتقر إلى الشرعية التاريخية والمكانية... والتلويح بفزّاعة «مُعاداة السّامية» تقبعُ بمعبر رفح على مرمى حَجَر من غزّة عشراتُ الشاحنات المحمّلة بمختلف المساعدات التي يحتاجها شعبُنا المحاصَرُ هناك، ولا أحدَ منّا - نحن العربَ- استطاع أن يوصلها إلى مستحقيها؛ إلا ما شذّ من المبادرة الملكية المحمودة بإدخال المساعدات المغربية عبر معبر «كرم أبو سالم» الفاصل بين أراضي 48 وأراضي 67 ومصر.

فأين، على الأقل، «النّخوةُ العربيّة» وأين شعارات «القوميّة العربية»؟ فهل تمّ تجريد الإنسان العربيّ منهما؟ فحتّى، بالأمس القريب، في فجر الإسلام لم يرضَ نفرٌ من مشركي قريش بأنْ يُقاطِع بنو هاشم ويُنفَوْا ويُعزَلوا في شعاب مكّة بدَون غذاء ولا غطاء ولا تجارة ولا مُناكحة... حَتى يموتوا جوعا أو يرتدّوا عن دينهم، حتّى في هذه الظروف الحالكة والعصيبة كان بعض المشركين ممّن أخذتهم حميّة العروبة والدّمّ والقرابة والنّسب والشّرَف، ومنهم هشام ابن عمرو بن الحارث، يتسلّلون ليلا إلى الشعاب مُحمّلين بالمؤونة التي يُرْجى أنْ تُخفف الحصار على الحبيب المصطفى والمسلمين ومَن والاهم من بني هاشم وبني المطلب حتى مَن لم يكنْ منهم على دين الإسلام.

واتّفق عدد من «أصحاب المروءة» على كسر هذا الحصار والتّصدّي لِقرارات صناديد قريش والعمل على تمزيق «صحيفة المقاطعة» التي عُلقت بجوف الكعبة، فاتفق هشام بن عمرو وصديقُه زهيرُ بن أبي أمية، وانضمّ إليهم المطعم بن عديّ، وأبو البختري بن هشام، وزَمْعَة بن الأسْود، وكانوا كلهم مشركين؛ فاتفقوا ليلا وبيّتوا أمرهم على نقض الصحيفة، وفي الصباح قام زهيرُ بن أمية وطاف بالبيت سبعًا، ثم قام في الناس خطيبا، فقال: «يا أهل مكة، أنَأْكل ونلبسُ الثياب وبنو هاشم هَلْكى لا يبتاعون ولا يُبْتاعُ منهم؟ ! واللهِ، لا أقعدُ حتّى تُشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. وعند تأهُّبِهم لاقتحام الكعبة وشقّ «صحيفة المقاطعة»، وجدوا أن الأرَضَة قد أكلتها إلا عبارة «باسمك اللّهم»، وفكّ الحصارُ على النّبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعشيرته مُسلِمهم ومُشركهم. (ينظر موقع إسلام ويب)

واذْكُر عزيزي القارئ يوم عاد النّبيّ صلى الله عليه وسلم من الطائف حزينا مكلومًا بعد أنْ لَمْ يستجيبوا لدعوته، وحرّضوا عليه سُفَهاءَهم فرَمَوْهُ بالشتائم وقذفوه بالحجارة حتّى أَدْمَوْا قَدَمَيْه، ولم يشأْ أنْ يدخل مكّة كما غادرها، فأرسل إلى المطعم بن عديٍّ يطلب الدخول في جواره؛ قال ابن الأثير: «وأصبحَ المطعم قد لبسَ سلاحَه هو وبَنوه وبَنو أخيه فدخلوا المسجد، فقال له أبو جهل: أمُجيرٌ أم مُتابِعٌ؟ قال: بلْ مُجيرٌ، قال: قد أَجَرْنا مَنْ أَجَرْتَ.»

وكان المطعم رجلا مشركا، لكنه يُقَدِّر المروءة والشّهامة والأنفَة العربية، ويَعرف معنى رابطة العروبة وآصرة الدّم والدخول في الجوار... وقد اعترف له النبي الكريم بفضله حينما أسَر المسلمون في غزوة بدر سبعين (70) مشركا من قريش، فقال عليه الصلاة والسلام، كما ورد في البخاري،: «لو كان المطعم بن عدي حيّا، ثُمّ كلّمَني (طلبَ الشّفاعة) في هؤلاء النّتنى لتَرَكْتُهم له.» (ينظر موقع إسلام ويب)

واذكر عزيزي القارئ هجرة النبي الكريم وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه من مكة إلى المدينة، واذكر مَن كان دليلهما في الطريق إنّه عبد الله بن أُرَيْقِط وهو رجل مشرك ولم يكن مسلما، ولم تَسْتَهْوِهِ إغراءات قريش التي رصدت جائزة كبيرة مائة ناقة لمن يدلّ على النبيّ صلى الله عليه وسلم وصاحبه، أو يأتي بهما حَيَّيْن أو مَيِّتَيْن؛ إنها المروءة والشهامة العربية. (ينظر موقع إسلام ويب)

فأين نحن من هذا وقد أَسْلَمْنا إخوةً لنا لآلة القتل الصّهيونيّة، واسْتَسَغْنا على موائدنا، من غير اسْتِسْماحٍ، كلّ البَشاعات المُقترَفة في غزّة والضفّة؟ !

المجلات المغربية في سنوات الرصاص

عصام ربابي
باحث بسلك الدكتوراه

رهانات الاستمرار ومأزق القطيعة

مقدمة

يمكن لمتتبع الشأن الثقافي بالمغرب التأمل في مسار مليء بالفجوات والنتوءات التي أفسدت أسس معمار ثقافي كان يحاول أن يتجاوز مرحلة التهميش والإهمال، حيث نجد أن الثقافة المغربية عرفت مراحل مضطربة خلال فترات زمنية اتسمت بالكثير من الصراعات والمزايدات، وذلك في فترة ما بعد استقلال المغرب، إذ اتسعت هوة الاختلاف وتباعدت الإيديولوجيات في سعيها للحصول على السلطة أو المساهمة في اختيارها، الشيء الذي قاد إلى تضييق الخناق على الممارسة الثقافية وسجنها داخل محراب ضيق تنعدم فيه أبسط شروط التعبير، وإذا كان الحديث عن الثقافة بشكل عام سيقودنا إلى فضاءات معرفية واسعة؛ فإننا سنركز في حديثنا على مجلتين مغربيتين، صدرتا في فترات متباعدة غداة استقلال المغرب، وتعرضتا للمنع بعد سنوات من النشر، فاتحة الباب على مصراعيه لطرح تساؤلات كبرى. هاتان المجلتان هما مجلة «أقلام» ومجلة «الثقافة الجديدة»، وكلاهما كان شاهدا على فترة الغليان السياسي في سبعينات وثمانينات القرن الماضي، ما يجعل تناولنا للموضوع مشروط باستحضار المعارك السياسية لتلك الحقبة، وما شابها من اعتقالات ومظاهرات.

وإذا كانت المجلات في المغرب بدأت بالصدور في فترة الحماية الفرنسية فإن هاتين المجلتين شكلتا امتدادا لمن سبقهما، مع سعي حثيث لتحقيق توجهات جديدة تتماشى مع مستجدات الساحة الثقافية في العالم، وتسعى للتخلص من ظلال المشرق الذي نصب نفسه وصيا شرعيا على الإنتاج المعرفي المغربي بمختلف انتماءاته، من هنا سنحاول تتبع المسار الذي سلكته المجلتان في طريقهما لتحقيق استقلالية ثقافية، قبل أن تعترض طريقهما سنوات الرصاص، التي بلغ فيها الاحتقان الفكري أوجه، وتلوثت فيه التربة الثقافية بسموم سياسية أفسدت جزءا كبيرا من الشتائل التي كانت تنتظر موسم الغرس، ووجهت شتائل أخرى لِتُنتج ثمورا يشتهيها البعض دون البعض الآخر.

فما هي السياقات التي ظهرت فيها المجلتين؟ وما هي أنواع الخطابات التي قدمتها؟ ولماذا تم إيقافهما بعد سنوات من الصدور؟ وهل ساهمت الأعداد الصادرة في بلورة ثقافة مغربية لها خصوصياتها؟ وما مدى تأثير هاتين المجلتين على الثقافة المغربية الراهنة؟

1-سياقات ظهور مجلتي «أقلام» و «الثقافة الجديدة».

إذا كان الأمر يقتضي التفصيل أكثر لتناول هذه السياقات المتنوعة، فإن قاسما مشتركا يجمع بينها، وهو الجرح الغائر الذي ينخر كل سياق على حدة. وبالعودة إلى السنوات الأولى التي تلت استقلال المغرب، سنجد بزوغ فجر مجلة أقلام سنة 1964، حيث عقد رئيس تحريرها العزم على إصدار العدد الأول، وفقا لشروط ومعايير محددة، أبرزها تجاوز نمطية الثقافة السائدة. وإعادة الاعتبار للمثقف المغربي الذي أصبح «يعيش على الهامش مكتفيا بالتحليق في آفاق بعيدة هاربا من الواقع، وملتمسا لنفسه العزاء في طرق مواضيع أبعد ما تكون عن اهتمام مواطنيه»((1) .

كانت الثقافة المغربية حينها تتلمس طريقها نحو استقلالها عن المشرق، ولكنها لم تحز النضج الكافي الذي يمكنها من ذلك، ما دفع المثقفون آنذاك إلى البحث عن حلول تمكنهم من الارتقاء بالثقافة، وتساعدهم على

تأسيس ملامح ثقافية واضحة يمكن للمغاربة الانتماء لها وتبنيها، وهو ما تبنته مجلة أقلام من خلال حرصها على صناعة مثقف مختلف، قادر على الابتكار والخلق، واستمالة أصوات الجماهير، وبالتالي «فإن المثقف الذي يستطيع أن يؤثر في الناس هو المثقف الصادق الذي يضع نفسه في مستوى تفكيره، ولا يتنازل أمام أي طمع أو خوف» (2)

هذا السعي الحثيث، والحاجة الملحة أدت إلى صدور العدد الأول من مجلة أقلام، وتضمن هذا العدد أسماء وازنة، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر: أحمد السطاتي، محمد إبراهيم بوعلو، أحمد المجاطي، محمد برادة، غادة السمان وغيرهم؛ أما موضوعات العدد الأول فجاءت متنوعة ومتعددة الانتماءات، ذلك أنها مزجت بين أجيال ثقافية مختلفة، واستطاعت أن تتجاوز الجروح الغائرة التي خلفها الاستعمار، وإن كان هناك ما يحسب للقائمين على المجلة فهو شجاعتهم على إصدار مجلة في وقت كان المغرب يترنح بين مرحلتين فاصلتين، وكان الصراع السلطوي يحضى بالأهمية الأولى قبل بقية الصراعات والتطاحنات.

وإذا كانت الفترة الفاصلة بين صدور العدد الأول من مجلة أقلام والثقافة الجديدة عقد من الزمن، فإن هذه الأخيرة سايرت تحولات ثقافية وزخما فكريا لا يقل شأنا عن ذاك الذي واكبته أقلام على امتداد عشرين عاما. وبناء على ذلك سنجد أن هناك الكثير من التقاطعات والتمايزات بين المجلتين، ما جعلهما يحافظان على مكانتهما رغم توقفهما عن الصدور منذ عقود خلت. بل إن كلاهما اشتركا في إرساء معالم توحي بنشوء ثقافة جديدة في الغرب الإسلامي. وصرحا بذلك في صفحاتهما، حيث عبرت أقلام أنها «تحاول أن تخلق هذا التيار الجديد الذي يستطيع أن يسد الفراغ الفكري ويعوضنا عن تلك الثقافة الرثة البالية بثقافة حية جديدة»(3)

نفس التوجه نجده في الثقافة الجديدة، «من هنا تأخذ الثقافة الجديدة طابعا مميزا لها، باعتبار أن الأصوات التي تأتي من خلالها هي جديدة في الفكر وفي طرق الممارسة التي تقترحها»(4) .

إن البحث عن تاريخ المجلات المغربية يصطدم بكثير من المشاق، رغم ما أصبح يوفره عالم الرقميات، الذي لولاه لما أنجزنا هذه الورقة، ولكن الاطلاع على هذه المجلات يثبت أن المجهود المبذول كان سببا في تحقيق المنفعة، والمنفعة المعرفية داخل المجلات المغربية يصعب إيجادها في مكان آخر أو مرجعيات أخرى، فداخل أوراق قديمة ستجد تأملات وأمهات الأفكار لكتاب بارزين، ستعثر على توجهات عبد الله العروي، محمد عابد الجابري، وأسماء كثيرة أصبح لها باع طويل في سماء الفكر والثقافة والأدب المغربي.

حاولت مجلة «أقلام» الانفتاح على جل القضايا الفكرية والثقافية والأدبية، والمتتبع لأعدادها الكاملة يلحظ بعض الثوابت التي دأبت هيئة التحرير على الالتزام بها، ذلك أنها خصصت أغلب الافتتاحيات لمحمد عابد الجابري، الذي تحدث عن «مسؤولية المثقفين في البلدان المتخلفة»، «الديمقراطية كوسيلة وهدف»، «أضواء على مشكل التعليم بالمغرب»، وغيرها من الموضوعات الأخرى. كما أنها خصصت نافذة لإبراهيم بوعلو في جل الأعداد حيث تَبرُز ريشة الكاتب القصصية، إلى جانب ذلك يتضح جليا كيف تراجع عدد المشاركين في أعداد المجلة لينتقل من 20 مشاركا في بعض الأعداد، إلى 10 في أعداد أخرى.

2- التعالقات والتقاطعات بين أقلام والثقافة الجديدة

إذا تتبعنا بعض التقاطعات بين مجلة أقلام ومجلة الثقافة الجديدة، فسنجدهما معا عاشا تجربة التوقف القسري بسبب ضعف الإمكانات المادية أو اعتقال أحد القائمين على المجلة كما هو الحال بالنسبة للثقافة الجديدة حيث «توقفت المجلة مدة سنة، طيلة 1976، كان التوقف متعلقا باستمرار اعتقال مصطفى المسناوي، وعدم اتضاح حدود المسؤولية»(5)، بينما توقفت أقلام

سنة 1966 وامتد التوقف مدة ست سنوات، غير أن هذا التوقف كان مؤقتا، قبل أن يعودا إلى الصدور مرة أخرى، ثم يتوقفان عن الصدور بشكل دائم، مع اختلاف طفيف في حيثيات التوقف، خصوصا توقف الثقافة الجديدة الذي جاء بأمر من وزير الداخلية آنذاك إدريس البصري سنة 1984، في حين توقفت أقلام قبل ذلك بعامين، بعد مضايقات تعرضت لها أغلب المجلات المستقلة.

إلى جانب ذلك نجد أن موضوعات المجلتين تصب أحيانا في نفس الاتجاه، فالتربية والتعليم، الفلسفة، علم الاجتماع، القصة، النقد الأدبي، بعض الترجمات، كلها مواضيع نجدها على امتداد أعداد المجلتين معا، ناهيك عن بعض السجالات التي كانت تلقى اهتماما واسعا من طرف القراء، ولعل السجال الذي دار بين محمد برادة ومحمد زنيبر على امتداد الأعداد الأولى من أقلام من أهم السجالات التي وثقتها المجلات المغربية. خصوصا وأن «السجال الفكري والنقدي في العلوم الإنسانية بصفة عامة وفي الأدب بصفة خاصة يعد مرآة ومجلى للسجال الاجتماعي والتاريخي، بحيث يسهل تلمس عناصر وجذور السجال النقدي في صميم المواقف الاجتماعية، في صميم المواقع الطبقية التي تتحرك عليها الأطراف المتنازعة أو تصدر عن مفاهيمها وتطلعاتها»(6).

إلى جانب ذلك وفرت المجلتان مساحة شاسعة للأقلام والسواعد المغربية، من أجل التعبير عن أفكارها، والمساهمة في بناء صرحي ثقافي مغربي يتميز بالاستقلال الفكري والأدبي عن المشرق وعن الغرب، فكانت غزارة الإنتاج بشتى أشكاله وأنواعه دليلا على نضج الثقافة المغربية، ذلك أن تتبع المواد والموضوعات المنشورة في المجلتين يؤكد انفتاحهما على كل الأجناس والأشكال والأنماط المعرفية، حيث يطالعنا الشعر، القصة، المسرح، الرواية كإنتاج إبداعي وجد في المجلتين تربة خصبة ساعدته على النمو والنضج والوصول إلى المتلقي.

أما الحقول المعرفية الأخرى فنجدها أيضا تتربص بالقارئ، وتوفر له كل الاحتياجات الثقافية فيصطدم بالنقد، الفلسفة، التاريخ، العلوم، السينما، التشكيل، وغيرها من مجالات المعرفة التي كانت تمثل غذاء متكاملا للإنسان المغربي الذي كان يجد في الثقافة والأدب سفينة نجاة من شأنها أن تحمله إلى شط الأمان والحرية والاطلاع على جديد الكتابة والإبداع.

خاتمة

استطاعت مجلتا «أقلام» و«الثقافة الجديدة» أن تحققا تراكما معرفيا مهما في الأدب والثقافة المغربيين، وساهمتا معا في تشكيل نموذج متكامل في مختلف الموضوعات، فأصبحتا مرجعا أساسا لكل من يريد الغوص في أعماق الثقافة المغربية، خصوصا في الثلث الأخير من القرن العشرين، حيث جمعت المجلتان داخل طياتهما كل فنون القول تقريبا، وبالتالي ساهمت في إرساء لبنات متماسكة أدت إلى اعتلاء الثقافة المغربية بمختلف مشاربها سلم الرقي والتطور والازدهار، وهو ما يجعلنا نتساءل بنوع من التردد؛ ماذا لو لم تظهر المجلات في المغرب؟ وبصيغة أخرى، كيف يمكن الحديث عن تطور الثقافة والأدب المغربي في ظل غياب المجلتين المذكورتين؟ وهل كان إيقاف المجلتين سببا في تدهور أو تراجع الثقافة والأدب والفكر داخل المغرب؟

الهوامش:

-1مجلة أقلام، العدد 1، يناير 1964، ص2.
-2نفس المرجع. ص2.
-3مجلة أقلام، العدد 3 يوليو 1964، ص4.
-4أحمد بنميمون. ملحق مجلة الثقافة الجديدة، ط1،2019، ص44.
-5ملحق مجلة الثقافة الجديدة (نفس المرجع) ص19.
-6نجيب العوفي، درجة الوعي في الكتابة، 1980، ص415-416.

قصة قصيرة

رَغيفُ أسْوَد

هشام أجران

في طريقه إلى منزله، اشترى (إبراهيم) أرغفة خبز من محل لإعداد الخبز المحلي، وعلى مائدة الغداء، سأله ابنه الصغير باستنكار:

- هل سنأكل هذا الرغيف الأسود؟

اكتشف (إبراهيم) أنه مسح يديه الملطختين بسواد الفحم في رغيف الخبز دون أن يشعر. لم يجب، ركن إلى الصمت كما اعتاد أن يفعل دائما، ثم مد يده نحو الصحن وردد بهدوء:

- بسم الله.

اكتفى (إبراهيم) بلقيمات قليلة، قبل أن يهيء نفسه للخروج... على عتبة الباب توقفت ثلاثة أجساد، كانوا في وضعية جمود، يتبادلون نظرات ذات معنى، وتهيم أرواحهم بين مشاعر وأحاسيس مختلفة. كان ذلك نوع من طقوس الوداع التي تمارسها الأسرة كلما حل موعد نزول (إبراهيم) إلى المنجم، يلتزم هو بالصمت كعادته، بينما تلهج زوجته بالدعاء، تدعو الله أن يحفظه وييسر أمره ويعيده سالما غانما، ويتعلق ابنه بساقيه، هذه الحركة بالذات تخلف الكثير من الأسى في نفسه.

لما وصل إلى المكان، وجد الشاب (حميد) واقفا أمام مدخل المنجم يردد أغنية أمازيغية، صوته شجي، لكنه لم يستطع إخفاء رجفة لعينة أثرت على عذوبة صوته، كان متوترا، يتملكه الخوف، فهذه مغامرته الثانية فقط، بعدما وجد نفسه مجبرا على ممارسة هذا العمل ليعيل أمه وإخوته الصغار بعد وفاة والده. سرعان ما انضم إليهما الرجلان الآخران، (عبد القادر) و (سعيد).

المنجم عميق، وكلما انحدرت نحو الاسفل إلا وساد الظلام أكثر، وقلت نسبة الأكسجين، وضاق الممر بصفة أشد. ساد الصمت، أنفاس الرجال المتقطعة وحدها ما تسمع، ولو أصخت السمع أكثر لتناهى إلى سمعك صوت خفقان القلوب الوجلة.

رفع (إبراهيم) يده معلنا الوصول إلى المكان المقصود، عدّل الرجال من وضع المصابيح على خوذهم المعدنية، أخرجوا فؤوسهم ومعاولهم وبدأوا العمل.

بعد عمل دؤوب، انهارت قواهم فاستلقوا على الأرض، وتعالت أنفاسهم بفعل المجهود، وتصببت أجسادهم عرقا باردا... لفترة لم يبادر أحد بالحديث، فقد سرحوا في عالم أفكارهم، يفكرون في الأحبة الذين ينتظرون عودتهم، في المال الذي سيربحونه من بيع الفحم، في مواعيد الطبيب، في كسرة الخبز...

في غمرة شرودهم اهتزت الأرض، ووقع انهيار أرضي مفاجئ، ربما بسبب خطأ ما في عملية الحفر، ليجدوا أنفسهم محاصرين بالصخور وركام من الأتربة، صرخات (حميد) الملتاعة وحدها ترددت في الأرجاء، بينما شلت الصدمة ألسنة الآخرين، وحده (إبراهيم) من حافظ على هدوئه وهو يخاطبهم بثقة:

- اهدأوا، هذه أمور عادية، قريبا ستأتي النجدة. هل لديكم بعض الماء والطعام؟؟

منحهم صوته الهادئ ونبرته الواثقة شحنة كبيرة من الأمل، فأخرج (عبد القادر) لفافة من حقيبته الصغيرة بداخلها أرغفة خبز وهو يردد بمرح مصطنع:

- لم يسبق لكم أن تناولتم رغيفا أسود، اليوم ستنالون هذا الشرف؟

تبادلوا نظرات فيما بينهم، تشي بما دار في عقولهم بعد عبارة رفيقهم، ولعل الجواب نفسه تردد في أذهانهم: « ذلك الشرف يا صديقي نعيش معه وبه مدى العمر...»

انشغلوا بتناول الطعام البسيط، يترقبون في أية لحظة وصول النجدة، والتي يعلم (إبراهيم) أنها لن تأتي أبدا.

رسم للفنان الأمريكي فير روز

احتفاء باليوم العالمي للكتاب (23 أبريل)

بقلم: عبد الفتاح كيليطو

ترجمة: إسماعيل أزيات

العقوبة

كاتب وقد تسلّم للتّو نسخة من آخر كتبه، نسخة طريّة تماما، جديدة تماما، عرضها بافتخار على طفلته الصّغيرة. «انظري، أنا الذي كتبت هذا الكتاب»، قال لها. حتى يؤثّر في مشاعرها بدرجة أكبر، لفت انتباهها إلى اسمه على الغلاف أعلى العنوان. مقطّبة حاجبيها، صاحت ناقمة : «أنسخت كلّ هذا ؟»

كان يرتقبُ أن يكون مثيرا للإعجاب، لزم عليه أن ينكفئ.

أنكرت ابنته صفته ككاتب مشبّهة عمله بانتساخ رخيص، بعقوبة مماثلة لتلك التي يتمّ إنزالها بالتّلاميذ المشاكسين. الأسوأ من ذلك أيضا أن يكون خضع لمعاقبة أشدّ شناعة : أن ينتسخ كتابا بأكمله عوض ورقة أوورقتين. لكن ما كان يتراءى للتلميذة الصّغير صادما أكثر ملاحظتها أن يكون تقبّل هذه اللّعبة الخرقاء من تلقاء نفسه، من خلال عمل اختياري ومُبيّت.

خلال برهة وجيزة من الزّمن، تبنّى وجهة نظر تلميذة المدرسة. مهما يكن من أمر، لا معلم أكرهه على أن «ينتسخ»، لا سلطة عليا أجبرته على هذا العمل المرهق والبغيض. إذا ما كان امتنع عن ذلك، فلم يكن ليتحدّى أيّة سلطة ولم يكن ليجلب على نفسه أدنى عقاب... على إثرمراهنة مشوّشة مع نفسه، تكفل وبلا تروّ، بعمل لا نتيجة له، بمهمّة سخيفة. خطر على باله عندئذ الكتّاب العرب القدماء الذين، هم بأنفسهم، كانوا يرغبون أن يشتغلوا تحت الطّلب؛ في تصديراتهم، لم يكونوا ليغفلوا ذكر التعاقد الذي هو في الأصل من منشأ كتبهم. حينما لا يأمرهم الأمير بالكتابة، كانوا يحافظون، على الرّغم من ذلك، بوهم الطّلب بتوريط صديق أو، في الدرجة القصوى، بتوريط القارئ. كانوا يستجيبون، بطيبة قلب، كما يجزمون، لعرض قدّمه شخص ما.

لم تصر البنتُ الصّغيرة؛ كانت قد نسيت هذه الحكاية. تخلّى عندئذ عن أن يشرح لها الفارق بين الكتابة والنّسخ (إضافة إلى العناء الذي كان سيلقاه في ذلك فعلا). فضّل أن يبقيها في سذاجتها، في هذا العالم السّحري حيث لا أصالة، لاانتحال، لاختلاق، حيث كل نص هو إعادة إنتاج أمينة لنص آخر، وحيث الأثرالشخصي ينحصر في شكل الأحرف، وفي الأخطاء الإملائية المحتومة. أمّا فيما يخصّ اسم الكاتب على الغلاف، لم يكن بطبيعته أن يربكها : ألم يكن من عادتها أن تسجّل اسمها على بطاقة تلصقها فوق دفاترها وكتبها المدرسية؟

A . Kilito, Le cheval de Nietzche
Le Fennec 2007, p: 9_10

مقدمة كتاب «حصان نيتشه ـ 2007

« قلْ لي ماذا تقرأ، أقلْ لك ماذا تكتب»... المحكيات التي تؤلف هذا الكتاب كتبت في غضون السنوات العشر الأخيرة. ما موضوعها ؟ ؟ الأدب. كلّ فصل يستدعي عملا كلاسيكيا أوحديثا : طوق الحمامة، الكوميديا الإلهية، ألف ليلة وليلة، دون كيخوطي، **Bouvard et Pécuchet** ، المسخ، كتاب **Bartleby** ، الرّمل، **Le Baron perché** ... هذه المؤلفات، وبعض أخريات غيرها، رافقتني منذ زمن طويل وشكّلت، إلى مدى ما، رؤيتي للعالم. هل كلّ شيء يؤوب إلى الأدب ؟ هذا ما أقرّ به، يمكن لهذا الأمر أن يخلق الحيرة، لا بل أن يثير الحنق...

وبما أنّي نشرت القليل من النصوص التخييلية، فإنّ المحاولة النقدية **essai** تتجسّد، إلى حدّما، بشكل أفضل في كتاباتي، غير أنّي، فيما يخصّني، قلّما أرى فارقا جوهريا بين النمطين: بالانتقال من العين والإبرة، على سبيل المثال، إلى حصان نيتشه، لا أحسّني غيّرت جوهريا من النّبرة. في هذا الصدد، لاحظت مترجمتي إلى اللغة الإيطالية، ميريلا كاسارينو، أنّه في الحالتين معا «ينبجس النص من تمازج الكتابة والقراءة». سأزيد : ومن الانفعال العاطفي.»

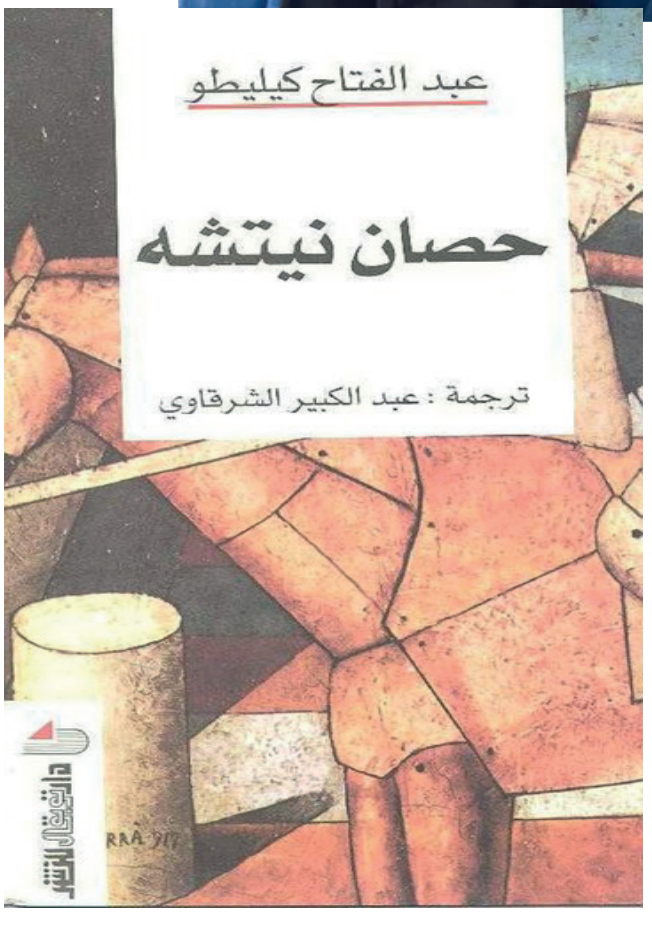

منشورات الفينيك ـ 2007

هوامش:

Bartleby لهرمان ملفيل (1853)
Bouvard et Pécuchet لجوستاف فلوبير' (1881)
Le Baron perché لإيطالو كالفينو(1957)،
باقي الآثار الأخرى معروفة : الكوميديا الإلهية لدانتي، دون كيخوطي لثرفانتس، المسخ لكافكا، كتاب الرّمل لبورخيس، طوق الحمامة لإبن حزم...(المترجم).